

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨)

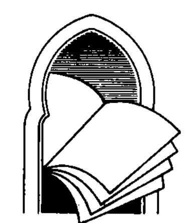
خرج أحاديثه

موفق عبد الله العوض

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م



دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض ـ شارع عسير ـ ص. ب : ٧٦١٢

تليفون : ٤٣٥٩٧٤٠/٤٣٥٤٩٣٧

المملكة العربية السعودية

« سـورة الفلق »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

﴿ قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق (١) مِنْ شرِّ مَا خَلَق (٢) وَمِنْ شرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَب (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَد (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَد (٥) ﴾ سورة الفلق.

قال شيخ الإسلام ناصر السنة قامع البدعة، تقي الدين أحمد بن تيمية نفعنا المولى بعلومه (وهو مما كتبه في القلعة) :

« فصل »

في ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾

قال تعالى : ﴿ **فالق الحبِّ والنوىٰ** ﴾ (**الأنعام : ٩٥**)، وقال تعالى : ﴿ **فالق الإصباح وجعل الليل سكناً** ﴾ (**الأنعام : ٩٦**). والفلق : فعل بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض، فكل ما فلقه الرب فهو فلق، قال الحسن : الفلق كل ما انفلق عن شيء : كالصبح، والحب، والنوىٰ.

قال الزَّجاج : وإذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن انفلاق : كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر.

وقد قال كثير من المفسرين : الفلق : الصبح، فإنه يقال : هذا أبين من فلق الصبح، وفرق الصبح.

وقال بعضهم الفلق : الخلق كله ، وأما من قال : إنه واد في جهنم أو شجرة في جهنم ، أو أنه اسم من أسماء جهنم ، فهذا أمر لا تعرف صحته ، لا بدلالة الأسم عليه ، ولا بنقل عن النبي ﷺ ، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة ، بخلاف ما إذا قال رب الخلق ، أو رب كل ما انفلق ، أو رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار ، فإن في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به ، وإذا قيل : الفلق يعم ويخص ، فبعمومه للخلق أستعيذ من شر ما خلق ، وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق إذا وقب .

فإن الغاسق قد فسر بالليل ، كقوله : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل** ﴾ (**الاسراء : ٧٨**) وهذا قول أكثر المفسرين ، وأهل اللغة . قالوا : ومعنى ﴿ وقب ﴾ دخل في كل شيء . قال الزجاج (الغاسق) البارد ، وقيل الليل غاسق ، لأنه أبرد من النهار ، وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة[1] « أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال : يا عائشة تعوّذي بالله من شره ،

---

(١) اسناده حسن رواه الترمذي : ٥/ (٣٣٦٦) التفسير (باب ومن سورة المعوذتين) وقال حديث حسن صحيح . عن عائشة ورواه أحمد : ٦١/٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ . والحاكم : ٥٤١/٢ وصححه ووافقه الذهبي . والطبري : ٣٠/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ . وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر ، وأبي الشيخ وابن مردويه . الدر : ٦٨٩/٨ وقال ابن حجر في الفتح : ٧٤١/٨ اسناده حسن .

فإنه الغاسق إذا وقب » . وروي من حديث أبي هريرة مرفوعاً[٢] « أن الغاسق النجم » . وقال ابن زيد هو الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها ، وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل ، فجعلوه قولاً آخر ، ثم فسروا وُقُوبه بسكونه .

قال ابن قتيبة : ويقال الغاسق القمر إذا كسف واسودَّ . ومعنى وقَب دخل في الكسوف ، وهذا ضعيف ، فإن ما قال رسول الله ﷺ لا يعارض بقول غيره ، وهو لا يقول إلا الحق . وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه ، بل مع ظهوره ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة** ﴾ (**الاسراء : ١٢**) فالقمر آية الليل ، وكذلك النجوم إنما تطلع فترى بالليل ، فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل . ودليله وعلامته ، والدليل مستلزم للمدلول ، فإذا كان شر القمر موجوداً ، فشر الليل

---

(٢) اسناده ضعيف جداً رواه ابن جرير : ٣٠/٢٢٦ ، ٢٢٧ ، واورده السيوطي في الدر : ٨/٦٨٩ وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه وقال ابن كثير في تفسيره : ٨/٥٥٥ وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ . قلت : وفي اسناده « محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف القاضي الزهري المدني . قال العقيلي : قال البخاري : هو منكر الحديث ، لا يتابع عليه ٤/١٠٤ وقال الذهبي : قال النسائي : متروك وقال الدارقطني : ضعيف وقال أبو حاتم : هم ثلاثة اخوة محمد ، وعبد الله وعمران ، ليس لهم حديث مستقيم (الميزان ٣/٦٢٨) .

موجود، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره، فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى، ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى : « هو[٣] مسجدى هذا » مع أن الآية تتناول

---

(٣) حديث صحيح رواه مسلم : ١٣٩٨/٢ الحج (باب بيان أن المسجد الذي اسس على التقوىٰ هو مسجد النبي ﷺ). عن أبي سعيد الخدري. والترمذي : ٣٢٣/٢ الصلاة (باب ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوىٰ) وقال حسن صحيح عن أبي سعيد، النسائي : ٣٦/٢ المساجد (ذكر المسجد الذي أسس على التقوىٰ). واسناده صحيح وأحمد في المسند : ٢٣/٣، ٢٤ ــ ١١٦/٥، وأبو يعلىٰ : ٢/ رقم ٩٨٥. وابن جرير : ٢٨/١١، وابن حبان : [موارد (١٠٩٧]، والحاكم : ٣٣٤/٢ وعبد ابن حميد : ١/ رقم (٤٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة ٥٤٤/٢ ــ ٥٤٥. وقال الهيثمي في المجمع : (٣٤٧) رواه كله أحمد والطبراني باختصار ورجالهما رجال الصحيح وقال : رواه الطبراني مرفوعاً وموقوفاً وفي اسناد المرفوع عبد الله بن عامر الأسلمي وهو ضعيف واحد اسنادي الموقوف رجاله رجال الصحيح. وزاد في الطريق الآخر قال عروة يعني ابن الزبير مسجد رسول الله ﷺ خير منه إنما أنزلت في قباء قلت إنما قال عروة هذا لأنه لم يطلع على المرفوع والله أعلم.

وقال النووي : هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوىٰ المذكور في القرآن ورد لما يقوله بعض المفسرين أنه مسجد قباء وقال العراقي في شرح الترمذي قد وردت أحاديث تدل على أنه مسجد قباء وهذا الحديث أرجح وأصح وأصرح وقال ابن عطية في تفسيره الذي يليق بالقصة أنه مسجد قباء إلا أنه لا نظر مع الحديث. سنن النسائي ٣٧/٢.

مسجد قباء قطعاً . وكذلك قوله عن أهل الكساء : « هؤلاء[٤] أهل بيتي » مع أن القرآن يتناول نساءه ، فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف ، فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة والليل مظلم ، تنتشر فيه شياطين الإنس والجن مالا تنتشر بالنهار ، ويجرى فيه أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك ، فالشر دائماً مقرون بالظلمة ، ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم ، لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار ، ويتوسلون بالقمر وبدعوته ، والقمر وعبادته ، وأبو معشر البلخى له « مصحف القمر » يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه .

فذكر سبحانه الاستعاذه من شر الخلق عموماً . ثم خص الأمر بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب ، وهو الزمان الذي يعم شره ، ثم خص بالذكر السحر والحسد .

فالسحر يكون في الأنفس الخبيثة ، لكن بالاستعانة بالأشياء

---

(٤) اسناده ضعيف رواه أبو داود : ٤٢١٣/٤ الترجل (باب ما جاء في الانتفاع بالعاج) . قال المنذري ١٠٩/٦ وفي اسناده حميد الشامي وسليمان المنبهي . قال الدرامي : قلت ليحيىٰ بن معين : حميد الشامي الذي يروي حديث ثوبان عن سليمان المنبهي ؟ فقال ما أعرفهما . وسئل الإمام أحمد عن حميد الشامي هذا من هو ؟ قال : لا أعرفه وقال : ابن حجر في التقريب : ٢٠٤/١ عن حميد الشامي انه مجهول وكذلك عن سليمان المنبهي ٣٣١/١ .

كالنفث في العقَد، والحسد يكون من الأنفس الخبيثة أيضاً، إما بالعين، وإما بالظلم باللسان واليد، وخص من السحر النفاثات في العقد، وهن النساء. والحاسد الرجال في العادة، ويكون من الرجال ومن النساء.

والشر الذي يكون من الأنفس الخبيثة من الرجال والنساء: هو شر منفصل عن الإنسان، ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس.

وفي سورة الناس ذكر (الوسواس الخناس) فإنه مبدأ الأفعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان، ففيها الاستعاذة من شر ما يدخل الإنسان من الأفعال التي تضره من الكفر والفسوق والعصيان. وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه.

وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموماً وخصوصاً، ولهذا قيل فيها ﴿ برب الفلق ﴾ وقيل في هذه ﴿ برب الناس ﴾ فإن فالق الأصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات، فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات، وكذلك الحسد هو من ضيق الإنسان وشحه لا ينشرح في صدره لأنعام الله عليه، فرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه، وهو سبحانه لا يفلق شيئاً إلا بخير، فهو فالق الإصباح بالنور الهادي، والسراج الوهَّاج الذي به صلاح العباد، وفالق الحب والنوى بأنواع الفواكه والأقوات التي هي رزق

الناس ودوابهم، والإنسان محتاج إلى جلب المنفعة من الهدف والرزق، وهذا حاصل بالفلق، والرب الذي فلق للناس ما تحصل به منافعهم يستعاذ به مما يضر الناس، فيطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأ بأنعامه عليه، وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة، وإخراج الشيء من ضده كما يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، هذا من نوع الفلق، فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذي بالضد النافع.

« سـورة الناس »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ سورة الناس.

« فصل »

وقال رحمه الله في ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ إلى آخرها، قوله: ﴿ **من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** ﴾ فيها أقوال، ولم يذكر ابن الجوزي إلا قولين، ولم يذكر الثالث وهو الصحيح. وهو أن قوله ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ لبيان الوسواس، أى الذي يوسوس من الجنة ومن الناس في صدور الناس، فإن الله تعالى قد أخبر أنه جعل لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وإيحاؤهم هو وسوستهم، وليس من شرط الموسوس أن يكون مستتراً عن البصر، بل قد يشاهد، قال تعالى: ﴿ **فوسوس لهما الشيطان لِيُبدِيَ لهما ما وُوري عنهما من سوآتهما، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن**

الناصحين ﴾ (**الاعراف : ٢١**). وهذا الكلام من يعرف قائله، ليس شيئاً يلقى في القلب لا يدري ممن هو، وإبليس قد أمر بالسجود لآدم فأبىٰ واستكبر، فلم يكن ممن لا يعرفه آدم، وهو ونسله يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، وأما آدم فقد رآه.

وقد يرى الشياطين والجن كثير من الإنس، لكن لهم من الاجتنان والاستتار ما ليس للإنس، وقد قال تعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال إني بريء منكم** ﴾ (**الانفال : ٤٨**). وفي التفسير والسيرة : أن الشيطان جاءهم في صورة بعض الناس، وكذلك قوله : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ (**الحشر : ١٦**).

وفي حديث أبي ذر عن رسول الله ﷺ : « نعوذ(٥) بالله من شياطين الإنس والجن . قلت : أوَ للإنس شياطين ؟ قال : نعم أشر من شياطين الجن » .

---

(٥) اسناده ضعيف رواه أحمد : ١٧٨/٥، ١٧٩ . والنسائي : ٢٧٥/٨ الاستعاذة . وفي اسناديهما أبي عمر الشامي وهو ضعيف. تقريب ٢٥٤/٢، وعبيد بن خشخاش : وهو لين. تقريب ٥٤٣/١. وكذلك رواه أحمد : ٢٦٥/٥ من حديث أبي أمامة وفي سنده. معان بن رفاعة : لين الحديث كثير الإرسال. تقريب ٢٥٨/٢ ، وعلى بن يزيد : وهو ضعيف. تقريب ٤٦/٢ . والقاسم أبي عبد الرحمن : صدوق يرسل كثيراً. تقريب ١١٨/٢.

وأيضاً فالنفس لها وسوسة كما قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ (ق : ١٦). فهذا توسوس به نفسه لنفسه، كما يقال حديث النفس. قال النبي ﷺ : إن[٦] الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسَها ما لم تتكلم به أو تعمل به ». أخرجاه في الصحيحين.

فالذي يوسوس في صدور الناس : نفسه، وشياطين الجن، وشياطين الإنس.

والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجِنَّة، ووسوسة الإنس، وإلا أى معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن !.

وأما قول الفرَّاء : إن المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس : الطائفتين من الجن والإنس، وأنه سمى الجن ناساً، كما سماهم رجالاً، وسماهم نفراً فهذا ضعيف، فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والإنس، وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع.

وأيضاً فكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح

(٦) رواه البخاري : ٢٥٢٨/٥ العتق (باب الخطأ والنسيان في العتاقه والطلاق ... و ٥٢٦٩/٩ النكاح (باب الطلاق في الإغلاق والكره ...)، ٦٦٦٤/١١ الأيمان والنذور (باب إذا أحنث ناسياً في الأيمان)، ومسلم : ١/رقم ١٢٧ إيمان (باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب ...). عن أبي هريرة.

وبيان وليس وسوسة الجن معروفة عند الناس، وإنما يعرف هذا بخبر، ولا خبر هنا، ثم قد قال : ﴿ من الجِنَّة والناس ﴾ فكيف يكون لفظ الناس عاماً للجنة والناس ؟ وكيف يكون قسيم الشيء قسماً منه ؟ فهو يجعل الناس قسيم الجن، ويجعل الجن نوعاً من الناس، وهذا كما يقول : أكرم العرب من العجم والعرب، فهل يقول : أكرم العرب من العجم والعرب، فهل يقول هذا أحد؟! وإذا سماهم الله تعالى رجالا لم يكن في هذا دليل على أنهم يسمون ناساً، وإن قدر أن يقال جاء ناس من الجن فذاك مع التقييد كما يقال إنسان من طين، وماء دافق، ولا يلزم من هذا أن يدخلوا في لفظ الناس، وقد قال تعالى : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ (النساء : ١) .

فالناس كلهم مخلوقون من آدم وحواء، مع أنه سبحانه يخاطب الجن والإنس.

والرسول ﷺ مبعوث إلى الجنسين، لكن لفظ الناس لم يتناول الجن، ولكن يقول يا معشر الجن والإنس.

وكذلك قول الزجاج : إن المعنى ﴿ من شر الوسواس ﴾ الذي هو الجنَّة، ومن شر الناس فيه ضعف، وإن كان أرجح من الأول، لأن شر الجن أعظم من شر الإنس، فكيف يطلق الاستعاذة من جيمع الناس ولا يستعيذ إلا من بعض الجن ؟! .

وأيضاً فالوسواس الخناس إن لم يكن إلا من الجنة فلا حاجة إلى قوله (من الجنة) ومن (الناس) فلماذا يخص الاستعاذة من وسواس الجنة دون وسواس الناس ؟.

وأيضاً فإنه إذا تقدم المعطوف إسماً كان عطفه على القريب أولى، كما أن عود الضمير إلى الأقرب أولى، إلا إذا كان هناك دليل يقتضي العطف على البعيد، فعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من عطفه على الوسواس.

ويكفي أن المسلمين كلهم يقرأون هذه السورة من زمن نبيهم ولم ينقل هذان القولان إلا عن بعض النحاة، والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ليس فيها شيء من هذا، بل إنما فيها القول الذي نصرناه، كما في تفسير معمر عن قتادة ﴿ من الجنة والناس ﴾ قال : إن في الجن شياطيناً، وإن في الإنس شياطيناً، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فبين قتادة أن المعنى الاستعاذة من شياطين الإنس والجن.

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ الوسواس الخناس ﴾. قال : الخناس الذي يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والإنس، فبين ابن زيد أن الوسواس الخناس من الصنفين وكان يقال : شياطين الإنس أشد على الناس من شياطين الجن : شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهذا يعاينك معاينة.

وعن ابن جريج : ﴿ من الجنة والناس ﴾ قال : إنهما وسواسان، فوسواس من الجنة فهو ﴿ الخناس ﴾، ووسواس من نفس الإنسان فهو قوله : ﴿ والناس ﴾، وهذا القول الثالث وإن كان يشبه قول الزجاج، فهذا أحسن منه فإنه جعل من الناس

الوسواس الذي من نفس الإنسان، فمعناه أحسن، ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في تفسيره.

وأيضاً فإنه ذكر في الآية : ﴿ رب الناس، ملك الناس، إله الناس ﴾ فإنه كان المقصود أن يستعيذ الناس بربهم وملكهم وإلهم من شر ما يوسوس في صدورهم، فإن هو الذي يُطلب منه الخير الذي ينفعهم، ويطلب من دفع الشر الذي يضرهم، والوسواس أصل كل شر يضرهم، لأنه مبدأ للكفر والفسوق والعصيان، وعقوبات الرب إنما تكون على ذنوبهم، وإذا لم يكن لأحدهم ذنب فكل ما يصيبه نعمة في حقه، وإذا ابتلى بما يؤلمه فإن الله يرفع درجته ويأجره، وإذا قدر عدم الذنوب مطلقاً، لكن هذا ليس بواقع منهم، فإن كل بني آدم خطاء، وخير الخاطئين التوابون. وقد قال تعالى : ﴿ **وحملها الإنسان إنه كان ظالوماً جهولاً، ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** ﴾ (الأحزاب : ٧٣) فغاية المؤمنين الأنبياء فمن دونهم هي التوبة. قال الله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾ (البقرة : ٣٧) وقال نوح : ﴿ **رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾ (هود : ٤٧). وقال إبراهيم وإسماعيل : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم** ﴾ (البقرة : ١٢٨). وقال موسى : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير

الغافرين ﴾ (الأعراف : ١٥٥) ودعاء نبينا بمثل ذلك كثير معروف .

فكأن الوسواس مبدأ كل شر ، فإن كانوا قد استعاذوا بربهم وملكهم وإلههم من شره ، فقد دخل في ذلك وسواس الجن والإنس وسائر شر الإنس إنما يقع بذنوبهم ، فهو جزاء على أعمالهم ، كالشر الذي يقع من الجن بغير الوسواس ، وكما يحصل من العقوبات السماوية وهم لم يستعيذوا هنا من شر المخلوقات مطلقاً ، كما استعاذوا في سورة الفلق ، بل من الشر الذي يكون مبدؤه في نفوسهم ، وإن كان ذكر رب الناس ملك الناس إله الناس يستعيذوا به ليعيذهم ، وليعيذ منهم ، وهذا أعم المعنَيين ، فذلك يحصل بإعاذته من شر الوسواس ، الموسوس في صدور الناس ، فإنه هو الذي يوسوس بظلم الناس بعضهم بعضاً ، وبإغواء بعضهم بعضاً ، وبإعانة بعضهم بعضاً على الإثم والعدوان .

فما حصل لإنسى شر من إنسى إلا كان مبدؤه من الوسواس الخناس ، وإلا فما يحصل من أذى بعضهم لبعض إذا لم يكن من الوسواس ، بل كان من الوحي الذي بعث الله به ملائكته كان عدلا ، كإقامة الحدود ، وجهاد الكفار ، والاقتصاص من الظالمين ، فهذه الأمور فيها ضرر وأذى للظالمين من الإنس ، لكن هي بوحي الله لا من الوسواس ، وهي نعمة من الله في حق عباده ، حتى في حق المعاقب ، فإنه إذا عوقب كان ذلك كفارة له إن كان مؤمناً ، وإلا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة إلى

عذاب، من لم يعاقب في الدنيا.

ولهذا كان محمد ﷺ رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به، وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة، وباعتبار أنه في نفسه رحمة، فمن قبلها، وإلا كان هو الظالم لنفسه، وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم، وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه، وقتل من قتل منهم، فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له وللناس، فكان محمد ﷺ رحمة للعالمين بكل اعتبار، فلا يستعاذ منه ومن أمثاله من الأنبياء وأتباعهم المؤمنين، وهم من الناس، وإن كانوا يفعلون بأعدائهم ما هو أذى وعقوبة وألم لهم، فلم تبق الاستعاذة من الناس إلا مما يأتي به الوسواس إليهم، فيستعاذ برب الناس ملك الناس إله الناس على هذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس للمستعيذ، ومن شر الوسواس الذي يوسوس لسائر الناس، حتى لا يحصل منهم شر للمستعيذ، فإذا لم يكن للناس شر إلا من الوسواس كانت الإستعاذة من شر الذي يوسوس لهم تحصيلا للمقصود، وكان حسما للمادة، وأقرب إلى العدل، وكان مخرجاً لأنبياء الله وأوليائه أن يستعاذ من شرهم، وأن يقرنوا بالوسواس الخناس، ويكون ذلك تفضيلا للجن على الإنس، وهذا لا يقوله عاقل.

فإن قيل: فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس، فإنه تابع لوسواس الجن.

قيل : بل الوسوسة نوعان : نوع من الجن، ونوع من نفوس الإنس. كما قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ (ق : ١٦) فالشر من الجهتين جميعاً، والإنس لهم شياطين، كما للجن شياطين، والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة، ويقال فلان يوشوش فلاناً، وقد وشوشه إذا حدثه سراً في أذنه، وكذلك الوسوسة، ومنه وسوسة الحلى، لكن هو بالسين المهملة أخص.

و ﴿ رب الناس ﴾ : الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره وهو رب العالمين كلهم، فهو الخالق للجميع ولأعمالهم.

و ﴿ ملك الناس ﴾ : الذي يأمرهم وينهاهم، فإن الملك يتصرف بالكلام، والجماد لا ملك له، فإنه لا يعقل الخطاب لكن له مالك، وإنما يكون الملك لمن يفهم عنه، والحيوان يفهم بعضه عن بعض، كما قال : ﴿ **علمنا منطق الطير** ﴾ (النمل : ١٦) ﴿ **قالت نملة يأيها النمل** ﴾ (النمل : ١٨)، فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه، كما كان سليمان ملكهم.
والإله : هو المعبود الذي هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها، كما قد بسط الكلام على ذلك.

وقد قيل : إنما خص الناس بالذكر، لأنهم مستعيذون، أو لأنهم المستعاذ من شرهم، ذكرهما أبو الفرج، وليس لهما وجه، فإن وسواس الجن أعظم ولم يذكره. بل ذكر الناس لأنهم المستعيذون، فيستعيذون بربهم الذي يصونهم، وبملكهم الذي أمرهم ونهاهم، وبإلهم الذي يعبدونه من شر الذي يحول بينهم

وبين عبادته، ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذي يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة، فإنه أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يرد عليهم.

« فصل »

وبهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة والتي قبلها كما جاءت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ أنه لم يستعذ المستعيذون بمثلها[٧]. فإن الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان، فهو أصل الشر كله، فمتى وقى الإنسان شره وقي عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال. فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس، ووقي عذاب الله في الدنيا والآخرة، فإنه إنما يعذب على الذنوب، وأصلها من الوسواس، ثم إن دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله ﴿ من شر الوسواس ﴾ استعاذة من الوسواس الذي يعرض له، والذي يعرض للناس بسببه، فقد وقى ظلمهم، وإن كان إنما يريد وسواسه فهم إنما يسلطون عليه بذنوبه وهي من وسواسه. قال تعالى: ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم: أنى**

(٧) رواه مسلم: ٨١٤/١ صلاة المسافرين (باب فضل قراءة المعوذتين). عن عقبة بن عامر بلفظ « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلهن ... » والنسائي: ٢٥٣/٨، ٢٥٤ بلفظ « ماسأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما. وروي الحديث من أوجه وطرق كثيرة جداً وبألفاظ متقاربة قال عنها ابن كثير في تفسيره: ٥٥٢/٨. فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث. اهـ.

هذا ؟! قل : **هو من عند أنفسكم** ﴾ (آل عمران : ١٦٥) وقال : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ (آل عمران : ١٦٦) . وقال : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ (النساء : ٧٩) .

والوسواس من جنس الحديث والكلام ، ولهذا قال المفسرون في قوله : ﴿ ما توسوس به نفسه ﴾ قالوا : ما تحدث به نفسه ، وقد قال ﷺ(*) : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به » وهو **نوعان** : خبر ، وإنشاء .

فالخبر : إما عن ماض ، وإما عن مستقبل . فالماضي يذكره به ، والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً ، أو أن أموراً ستكون بقدر الله ، أو فعل غيره ، فهذه الأماني والمواعيد الكاذبة .

والإنشاء : أمر ، ونهي ، وإباحة .

والشيطان تارة يحدث وسواس الشر ، وتارة ينشيء الخبر ، وكان ذلك بما يشغله به من حديث النفس . قال تعالى في النسيان : ﴿ **وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ (الانعام : ٦٨) . وقال فتى موسى : ﴿ **فإني نسيت الحوت وما أنسانيهُ إلا الشيطان** ﴾ (الكهف : ٦٣) . وقال تعالى : ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾ (يوسف : ٤٢) .

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين ، فإذا

(*) راجع تخريج ٦

قضى التأذين أقبل، فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، فيقول : أذكر كذا، أذكر كذا، لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى »(٨) فالشيطان ذكره بأمور ماضيه، حدث بها نفسه، مما كانت في نفس من أفعاله ومن غير أفعاله، فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلي، ولم يدر كم صلى، فإن النسيان أزال ما في النفس من الذكر، وشغلها بأمر آخر حتى نسي الأول.

وأما إخباره بما يكون في المستقبل من المواعيد والأماني فكقوله : ﴿ **وقال الشيطان لما قُضِيَ الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي : فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** ﴾ (ابراهيم : ٢٢). وفي هذه الآية أمره ووعده، وقال تعالى : ﴿ **ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً، يعدهم ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً** ﴾ (النساء : ١١٩ — ١٢١). وقال تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم**

(٨) رواه البخاري : ٦٠٨/٢ الأذان (باب فضل التأذين) والعمل في الصلاة ١٢٢١/٣ (باب يُفْكِرُ الرجلُ الشيء في الصلاة) السهو ١٢٣١/٣ (باب إذا لم يدرِ كم صلى ..). بدء الخلق ٣٢٨٥/٦ (باب صفة إبليس وجنوده). مسلم : ٣٨٩/١ الصلاة (باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه). ٣٨٩/١ المساجد ومواضع الصلاة (باب (١٩) السهو في الصلاة والسجود له). عن أبي هريرة.

مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦٨). ففي هذه أيضاً أمره ووعده. وقال موسى لما قتل القبطي : ﴿ هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ (القصص : ١٥).

وقد قال غير واحد من الصحابة : كأبي بكر وابن مسعود فيما يقولونه بإجتهادهم : إن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان. فجعلوا ما يلقي في النفس من الاعتقادات التي ليست مطابقة من الشيطان، وإن لم يكن صاحبها آثماً لأنه استفرغ وسعه، كما لا يأثم بالوسواس الذي يكون في الصلاة من الشيطان، ولا بما يحدث به نفسه، وقد قال المؤمنون : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) وقد قال الله : قد فعلت.

والنسيان للحق من الشيطان، والخطأ من الشيطان، قال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره. وإما يُنسيَّنك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (الانعام : ٦٨). وقد قال ﷺ : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها »[٩] ولما نام هو وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر قال لأصحابه : « ارتحلوا فإن هذا المكان حضرنا فيه شيطان » وقال : « إن

---

(٩) رواه البخاري : ٥٩٧/٢ مواقيت الصلاة (باب من نسى الصلاة .. ورواه مسلم : ٦٨٠/١ ــ ٦٨٤. المساجد (باب قضاء الصلاة الفائتة) عن أبي هريرة.

الشيطان أتى بلالا فجعل يهديه كما يهدي الصبى حتى نام »(١٠) وكان النبي ﷺ وكّل بلالا أن يوقظهم عند الفجر، والنوم الذي يشغل عما أمر به والنعاس من الشيطان، وإن كان معفواً عنه، ولهذا قيل: النعاس في مجلس الذكر من الشيطان، وكذلك الاحتلام في المنام من الشيطان، والنائم لا قلم عليه.

---

(١٠) حديث صحيح رواه مسلم: ٦٨٠/١ المساجد (باب قضاء الصلاة الفائتة ..) عن أبي هريرة ولم يذكر « إن الشيطان أتى بلالاً فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام » ورواه مالك في الموطأ: (٢٤ ــ ٢٥) الصلاة (باب النوم عن الصلاة. مرسلاً من حديث زيد بن اسلم وكذلك البيهقي في الدلائل: ٢٧٣/٤، ٢٧٤. وقال ابن عبد البر تعليقاً على هذا الحديث: « هكذا الحديث في الموطأ لم يسنده عن زيد أحد من رواة الموطأ، وقد جاء معناه متصلاً مسنداً من وجوه صحاح ثابتة في نومه ﷺ عن صلاة الصبح في سفره، روىٰ ذلك جماعة من الصحابة وأظنها قصة لم تعرض له إلا مرة واحدة فيما تدل عليه الآثار والله أعلم، إلا أن بعضها فيه مرجعه من خيبر كذا قال ابن شهاب عن سعيد بن المسيب في حديثه هذا، وهو أقوىٰ ما يروىٰ في ذلك وهو الصحيح إن شاء الله، وقول « زيد بن أسلم » في حديثه هذا بطريق مكة ليس بمخالف لأن طريق زيد بن أسلم هذا مرسل وليس مما يعارض حديث ابن شهاب، وفي حديث ابن مسعود (من يوقظنا فقلت أنا أوقظكم) وليس في ذلك دليل على أنها غير قصة بلال لأنه لم يقل له أيقظنا ويحتمل أنه لا يجيبه إلىٰ ذلك ويأمر بلالاً، وقال ابن مسعود في هذا الحديث زمن الحديبية وهو زمن واحد في عام واحد لأنه منصرفه من الحديبيه، مضى إلىٰ خيبر من عامه ذلك، ففتحها الله عليه. التمهيد: ٢٠٤/٥، ٢٠٥.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « الرؤيا[11] ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا ما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم » . وقد قيل : إن هذا من كلام ابن سيرين ، لكن تقسيم الرؤيا إلى نوعين : نوع من الله ، ونوع من الشيطان ، صحيح عن النبي ﷺ بلا ريب . فهذان النوعان : من وسواس النفس ، ومن وسواس الشيطان ، كلاهما معفو عنه ، فإن النائم قد رفع القلم عنه ، ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال ، فينسيه ما كان معه من الإيمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل ، فإذا كان من المتقين [كان] كما قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ (**الأعراف** : ٢٠١) . فإن الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب ، وقد يكون لطيفاً ، وقد يكون كثيفاً إلا أن غشاوة على القلب تمنعه إبصار الحق . قال النبي ﷺ : [12]« إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي قال الله تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ (**المطففين** : ١٤) .

---

(١١) رواه مسلم : ٢٢٦٣/٤ من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة . ورواه البخاري : ٦٩٩٥/١٢ التعبير (باب من رأى النبي ﷺ) .

(١٢) رواه مسلم : ١٤٤/١ الايمان (باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً » . حذيفة .

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب، هذا جزاء على الذنب، والغين ألطف من ذلك، كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «[13] إنه ليغان على قلبى، وإنى لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة» فالشيطان يلقى في النفس الشر، والملك يلقى الخير، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «[14] ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، قالوا: وإياك يارسول الله؟ قال: وإياي. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم». وفي رواية: «فلا يأمرني إلا بخير». أى استسلم وانقاد.

وكان ابن عيينة يرويه فأسلم بالضم، ويقول: إن الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الأخرى: فلا تأمرني إلا بخير، دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته، لا عن إيمانه بالله، كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك، فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه لا

---

(13) رواه مسلم: 2702/4 الذكر (باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه) عن الأغر المزني بلفظ «إنه ليغان على قلبي، واني لا ستغفر الله، في اليوم، مائة مرة» ورواه البخاري: 6307/1 الدعوات (باب استغفار النبي ﷺ). بلفظ «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة».

(14) رواه مسلم: 2814/4 صفات المنافقين (باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس ..) عن عبد الله بن مسعود.

لصلاحه ودينه ، ولهذا قال ﷺ : « إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير »(*). وقال ابن مسعود . إن للملك لمة ، وإن للشيطان لمة ؟ فلمة الملك إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق . ولمة الشيطان إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق . وقد قال تعالى : ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** ﴾ (**الآعمران : ١٧٥**) **أي يخوفكم أولياؤه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة ، كشيطان الإنس الذي خوف من العدو فيرجف ويخذل .**

وعكس هذا قوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ (**الانفال : ١٢**). وقال تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ (**ابراهيم : ٢٧**). وقال تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا** ﴾ (**ابراهيم : ١٤**). والتثبت جعلُ الإنسان ثابتاً لا مرتاباً ، وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق ، والوعد بالخير ، كما قال ابن مسعود : لمة الملك وعد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمتى علم القلب أن ما أخبر به الرسول حق صدقه ، وإذا علم أن الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله فثبت ، فهذا يثبت بالكلام كما يثبت الإنسان الإنسان في أمر قد اضطرب في بأن يخبره بصدقه ، ويخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت ، وقد يكون التثبيت بالفعل ، بأن يمسك القلب ، حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان حتى يثبت .

(*) راجع تخريج ١٤ .

وفي الحديث[١٥] عن النبي ﷺ : « من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يسأل القضاء، ولم يستعن عليه، أنزل الله عليه ملكاً يسدده » . فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقى في قلبه من التصديق بالحق، والوعد بالخير . وقد قال تعالى : ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ (**الاحزاب : ٤٣**) فدل ذلك على أن هذه الصلاة سبب لخروجهم من الظلمات إلى النور، وقد ذكر إخراجه للمؤمنين من الظلمات إلى النور في غير آية كقوله : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور . والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** ﴾ (**البقرة : ٢٥٧**). وقال : ﴿ **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ (**الحديد : ٩**). وقال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن**

---

(١٥) ضعيف رواه أبو داود : ٣٥٧٨/٤ الأقضية (باب في طلب القضاء والتسرع إليه » أحمد : ٢٢٠/٣، الترمذي : ١٣٢٣/٢، ١٣٢٤ الأحكام (باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي .. » . وقال حسن غريب وهو أصح من حديث اسرائيل عن عبد الأعلىٰ، ابن ماجة في : ١٣ ــ الأحكام ١ ــ باب ذكر القضاة حديث ٢٣٠٩ وقال الالباني عن أنس ضعيف (ضعيف الجامع ٢٠٣/٦) قلت : وقد أورده الهيثمي في المجمع ١٩٤/٤ من طرق عديدة وبألفاظ متقاربة كلها ضعيفة .

ربهم ﴾ (ابراهيم : ١). وفي الحديث : [١٦]« إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير » وذلك أن هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات إلى النور. والجزاء من جنس العمل، ولهذا كان الرسول أحق الناس بكمال هذه الصلاة، كما قال تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾ (**الاحزاب : ٥٦**).

والصلاة هي الدعاء، إما بخير يتضمن الدعاء، وإما بصيغة الدعاء، فالملائكة يدعون للمؤمنين، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاة : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث »[١٧]. فبين أن صلاتهم قولهم : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ..

---

(١٦) رواه الترمذي : ٥/ رقم (٢٦٨٥) العلم (باب فضل الفقه على العبادة) وقال حسن صحيح. ورواه الطبراني في الكبير. من حديث أبي أمامة وفيه القاسم أبو عبد الرحمن وثقة البخاري وضعفه أحمد. وقال ابن حجر في التقريب : ١١٨/٢ صدوق يرسل كثيراً. ورواه الطبراني في الأوسط عن جابر مرفوعاً « معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحاره وفيه اسماعيل بن عبد الله بن زرارة وثقة ابن حبان وقال الأزدي منكر الحديث ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (١٢٤/١ـــ١٢٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٣/٢.

(١٧) رواه البخاري : ٦٤٧/٢ الأذان (باب فضل صلاة الجماعة) ٦٥٩/٢ الأذان (باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة) ورواه مسلم : ٦٤٩/١ المساجد (باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة). عن أبي هريرة.

وفي الأثر : « أن الرب يصلي فيقول : سبقت ـــ أو غلبت ـــ رحمتي غضبي »[18]. وهذا كلامه سبحانه هو خبر وإنشاء، يتضمن أن الرحمة تسبق الغضب وتغلبه، وهو سبحانه لا يدعو غيره أن يفعل كما يدعوه الملائكة وغيرهم من الخلق، بل طلبه بأمره وقوله، وقسمه، كقوله : لأفعلن كذا، وقوله : كن فيكون، وقوله : لأفعلن كذا قسم منه كقوله تعالى : « **لأملأن جهنم منك وممن تبعك** ﴾. (ص ٨٥) وقوله : ﴿ **ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾(السجدة : ١٣). وقوله : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليُمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ (النور : ٥٥) وقوله : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ (المجادلة : ٢١) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين أُمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ (غافر : ٥١) فإن هذا وعد وخبر ليس فيه قسم، لكنه مؤكد باللام التي

(١٨) رواه البخاري : ٣١٩٤/٦ بدء الخلق (باب ما جاء في قوله تعالى « هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده .. » . ٧٤٠٤/١٣ التوحيد (باب قوله تعالى « ويحذركم الله نفسه » ٧٤٢٢/١٣ التوحيد (باب « وكان عرشه على الماء ... » ٧٤٥٣/١٣ التوحيد (باب قوله تعالى « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين » ٧٥٥٣/١٣، ٧٥٥٤ التوحيد (باب قوله تعالى « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » . ورواه مسلم : ٢٧٥١/٤ التوبة (باب في سعة رحمة الله » عن أبي هريرة.

يمكن أن تكون جواب قسم، وقوله : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾ (**الفتح : ٢٠**) وقوله : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين** ﴾ (**الانفال : ٧**) ونحو ذلك وعد مجرد.

وقد قال تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ (**الشورى : ٥١**) فأخبر أنه يوحى إلى البشر تارة وحياً منه، وتارة يرسل رسولا فيوحى إلى الرسول بإذنه ما يشاء.

والملائكة رسل الله. ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة، فإن أصل الكلمة ملاك على وزن مفعل، لكن لكثرة الاستعمال خففت بأن ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت الهمزة، وملاك مأخوذ من المألك والملأك، بتقديم الهمزة على اللام، واللام على الهمزة، وهو الرسالة، وكذلك الألوكة بتقديم الهمزة على اللام، قال الشاعر :

أبلغ النعمان عنى مألكاً أنه قد طال حبسى وانتظاري

وهذا بتقديم الهمزة، لكن الملك هو بتقديم اللام على الهمزة، وهذا أجود، فإن نظيره في الاشتقاق الأكبر لاك يلوك، إذ لاك الكلام، واللجام، والهمز أقوى من الواو، ويليه في الاشتقاق الأوسط : أكل يأكل، فإن الأكل يلوك ما يدخله في جوفه من الغذاء، والكلام والعلم ما يدخل في الباطن يغذي به صاحبه، قال عبد الله بن مسعود : إن كل آدب يجب أن تؤتي مأدبته، وإن مأدبه الله القرآن، والآداب المضيف، والمأدبة الضيافة، وهو ما يجعل من الطعام للضيف فبين أن الله ضيّف عباده بالكلام

الذي أنزله إليهم، فهو غذاء قلوبهم وقوتها، وهو أشد انتفاعاً به، واحتياجاً إليه من الجسد بغذائه.

وقال علي رضي الله عنه: الربانيون هم الذين يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، وقد قال ﷺ: « إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني »[19]. وقد أخبر الله تعالى أن القرآن شفاء لما في الصدور، والناس إلى الغذاء أحوج منهم إلى الشفاء في القلوب والأبدان، وفي الصحيحين عنه ﷺ: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة أمسكت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت طائفة أمسكت الماء فشرب الناس، وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[20].

---

(١٩) رواه البخاري: ٤/١٩٦٦ الصوم (باب التنكيل لمن أكثر الوصال) من حديث أبي هريرة. ٤/١٩٦٧ الصوم (باب الوصال الىٰ السحر). ٦٨٥١/١٢ الحدود (باب كم التعزيز والأدب؟) عن جابر ٧٢٤١/١٣ التنمي (باب ما يجوز من اللوّ ..) عن أنس ٧٢٤٣/١٣ التمني (باب ما يجوز من اللوّ ..) عن أبي هريرة ٧٢٩٩/١٣ الاعتصام (باب ما يكره من التعمق ..) عن أبي هريرة ومسلم: ١١٠٣/٢ الصوم (باب النهي عن الوصال) عن أبي هريرة.

(٢٠) رواه البخاري: ٧٩/١ العلم (باب فضل من عَلِم وعلَّم). ومسلم: =

فأخبر أن ما بعث به للقلوب كالماء للأرض، تارة تشربه فتنبت، وتارة تحفظه، وتارة لا هذا ولا هذا، والأرض تشرب الماء وتغتذي به حتى يحصل الخير، وقد أخبر الله تعالى أنه روح تحيا به القلوب فقال: **﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان. ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾** (**الشورىٰ : ٥٢**).

وإذا كان ما يوحيه إلى عباده تارة يكون بوساطة ملك، وتارة بغير وساطة، فهذا للمؤمنين كلهم مطلقاً لا يختص به الأنبياء. قال تعالى: **﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾** (**القصص : ٧**) وقال تعالى: **﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾** (**المائدة : ١١١**). وإذا كان قد قال: **﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾** (**النحل : ٦٨**) الآية. فذكر أنه يوحى إليهم، فإلى الإنسان أولى، وقال تعالى: **﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾** (**فصلت : ١٢**). وقد قال تعالى: **﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها ﴾** (**الشمس : ٧ ، ٨**) فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور، وهذا أمر بالتقوى، والأمر لابد أن يقترن به خبر.

= ٤/٢٢٨٢ الفضائل (باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدىٰ والعلم). عن أبي موسىٰ.

وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة. وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي، وبين الوسوسة. فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من إلهام الوحي، وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان.

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان ممن ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى الله فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم. وهذا الفرق مطرد لا ينتقص، وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال: ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه، وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانْهَهَا عنه.

وقد تكلم النظار في العلم الحاصل في القلب عقب النظر والاستدلال فذكروا فيه ثلاثة أقوال، كما ذكر ذلك أبو حامد (في مستصفاه) وغيره قول الجهمية وقول القدرية وقول الفلاسفة. وكثير من أهل الكلام لا يذكر إلا القولين: قول الجهمية وقول القدرية.

وذلك أنهم يذكرون في كتبهم ما يعرفونه من أقوال من يعرفونه تكلم في هذا، وهم لا يعرفون إلا هؤلاء، والمسألة هي من فروع القدر، فإن الحاصل في نفس حادث فيها، فالقول في كالأقوال في أمثاله.

ومذهب جهم ومن وافقه كأبي الحسن الأشعري، وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن الله خالق كل شيء، وأن الله خالق أفعال العباد، لكنه لا يثبت سبباً ولا قدرة مؤثرة، ولا حكمة لفعل الرب فأنكر الطبائع والقوى التي في الأعيان، وأنكر الأسباب والحكم، فلهذا لم يجعل لشيء سبباً، بل يقول هذا حاصل بخلق الله وقدرته، ولم يذكروا له سبباً، وهم صادقون في إضافته إلى قدره، وأنه خالقه، خلافاً للقدرية، لكن من تمام المعرفة إثبات الأسباب ومعرفتها.

وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم، فبنوه على أصلهم، وهو أن كل ما تولدَّ عن فعل العبد فهو فعله لا يضاف إلى غيره. كالشبع، والرِّى، وزهوق الروح، ونحو ذلك. فقالوا: هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر.

والمتفلسفة بنوه على أصلهم: في أن ما يحدث من الصور فهو من فيض العقل الفعال عند استعداد المواد القابلة، فقالوا: يحصل في نفوس الشر من فيض العقل الفعال عند استعداد النفس باستحضار المقدمتين. وهذا القول خطأ، والذي قبله أقرب منه. والأول أقرب، وليس في شيء منها تحقيق الأمر في ذلك.

وحقيقته أن الله وكّل بالإنس ملائكة وشياطين، يلقون في قلوبهم الخير والشر. فالعلم الصادق من الخير. والعقائد الباطلة من الشر، كما قال ابن مسعود: لمة الملك تصديق بالحق، ولمة

الشيطان تكذيب بالحق. وكما قال النبي ﷺ في القاضي(*)« أنزل الله عليه ملكاً يسدده ». وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه : وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك. كما لا يشعر بالشيطان الموسوس. لكن الله أخبر أنه بكلم البشر وحياً. ويكلمه بملك يوحي بإذنه ما يشاء. والثالث التكليم من وراء حجاب. وقد قال بعض المفسرين : المراد بالوحي هنا الوحي في المنام. ولم يذكر أبو الفرج غيره. وليس بالأمر كذلك. فإن المنام تارة يكون من الله، وتارة يكون من النفس، وتارة يكون من الشيطان. وهكذا ما يلقى في اليقظة. والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام.

ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً. كما قال ذلك ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقرأ قوله : ﴿ **إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾ (**الصافات** : ١٠٢) وليس كل من رأى رؤيا كانت وحياً. فكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحياً، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه، كالمصلي الذي يناجي ربه، فإذا جاز أن يوحى إليه في حال النوم، فلماذا لا يوحي إليه في حال اليقظة، كما أوحى إلى أم موسى والحواريين، وإلى النحل ؟! لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس، والله أعلم.

(*) [راجع تخريج (١٥)]

« فصل »

في (سورتي الفلق والناس)

في الفلق : أقوال ترجع إلى تعميم وتخصيص، فإنه فسر بالخلق عموماً ، وفسر بكل ما يفلق منه كالفجر والحب والنوى ، وهو غالب الخلق ، وفسر بالفجر . وأما تفسيره بالنار ، أو بجب ، أو شجرة فيها ، فهذا مرجعه إلى التوقيف .

والغاسق : قد روى في الحديث المرفوع عن عائشة في الترمذي والنسائي(*) « أن النبي ﷺ نظر إلى القمر وقال لها : يا عائشة تعوذي بالله من هذا ، فهذا الغاسق إذا وقب » . قال ابن قتيبة (الغاسق) : القمر إذا كشف ، فاسود ، ومعنى وقب دخل في الكسوف .

والمشهور عند أهل التفسير واللغة أن الغاسق : الليل . وقب : دخل في كل شيء فأظلم ، والغسق : الظلمة ، وقال الزجاج : الغاسق : البارد . فقيل لِلّيل غاسق ، لأنه أبرد من النهار ، أو يقال الغسق : السيلان والإحاطة ، وغسق الليل : سيلانه ، وإحاطته بالأرض . وإذا فسر بالقمر ، فقد يقال : وقوبه أى دخوله ، وهو دخوله في الكسوف ، ولا منافاة بين تفسيره بالليل وبالقمر ، فإن القمر آية الليل ، فهنا ثلاث مراتب : الليل مطلقاً ، ثم القمر مطلقاً ، ثم القمر حال كسوفه وهذا مناسب لما ذكر في المستعاذ به . فإن عموم الفلق للخلق

(*) [راجع تخريج (١)]

بإزاء من شر ما خلق، وخصوصه بالفجر الذي هو ظهور النور بإزاء الغاسق إذا وقب. الذي هو دخول الظلام.

وقال ابن زيد: الغاسق: الثريا إذا سقطت. وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وقد تقع عند طلوعها ويشبه، والله أعلم أن يكون من الحكمة في ذلك: أن النور هو جنس الخير والظلمة جنس الشر، وفي الليل يقع من الشرور النفسانية ما لا يقع في النهار، والقمر له تأثير في الأرض لا سيما حال كسوفه، فإن النبي ﷺ قال[٢١]: « إنهما آيتان يُخَوِّف الله بهما عبادَه ». والتخويف إنما يكون بانعقاد سبب الخوف، ولا يكون ذلك إلا عند سبب العذاب أو مظنته، فعلم أن الكسوف مظنة حدوث عذاب بأهل الأرض، ولهذا شرع عند الكسوف الصلاة الطويلة، والصدقة، والعتاقة، والدعاء لدفع العذاب، وكذلك عند سائر الآيات التي هي إنشاء العذاب، كالزلزلة، وظهور الكواكب وغير ذلك. وهو أقرب الكواكب التي لها تأثير في الأرض بالترطيب واليبس وغير ذلك.

ولهذا كان الطالبون للمنفعة والمضرة من الكواكب إنما يأخذون الأحداث بحسب سير القمر، فإذا كان في شرفه كالسرطان كان الوقت عندهم سعيداً، وإذا كان في العقرب وهو

---

(٢١) رواه البخاري: ١٠٤٨/٢ الكسوف (باب قول النبي ﷺ « يخوف الله عباده بالكسوف ». عن أبي بكرة ١٠٥٩/٢ الكسوف (باب الذكر في الكسوف ..) ورواه مسلم: ٩١١/٢، ٩١٢ الكسوف (باب ذكر النداء بصلاة الكسوف ...) عن أبي مسعود وأبي موسىٰ.

هبوطه كان نحساً فهذا في علمهم، وكذلك في عملهم من السحر وغيره : القمر أقرب المؤثرات، حتى صنفوا « مصحف القمر » لعبادته وتسبيحه، فوقع ترتيب المستعاذ منه في هذه السورة على كمال الترتيب، انتقالا من الأعم الأعلى الأبعد إلى الأخص الأقرب الأسفل، فجعلت أربعة أقسام :

الأول : من شر المخلوقات عموماً، وقول الحسن : إنه إبليس وذريته، وقول بعضهم إنه جهنم، ذكر للشر الذي هو لنا شر محض من الأرواح والأجسام.

والثاني : شر الغاسق إذا وقب، فدخل فيه ما يؤثر من العلويات في السفليات من الليل وما فيه من الكواكب، كالثريا وسلطانه الذي هو القمر، ودخل في ذلك سحر التمر سحات الذي هو أعلى السحر وأرفعه.

الثالث : شر النفاثات في العقد، وهن السواحر اللواتي يتصورن بأفعال في أجسام.

والرابع : الحاسد، وهي النفوس المضرة سفها، فانتظم بذلك جميع أسباب الشرور، ثم خص في « سورة الناس » الشر الصادر من الجن والإنس، وهم الأرواح المضرة.

« فصل »

وتظهر المناسبة بين السورتين من وجه آخر. وهو أن المستعاذ منه هو الشر. كما أن المطلوب هو الخير : إما من فعل العبد،

وإما من غير فعله، ومبدأ فعله للشر هو الوسواس، الذي يكون تارة من الجن، وتارة من الإنس. وحسم الشر بحسم أصله ومادته أجود لهن من دفعه بعد وقوعه، فإذا أعيذ العبد من شر الوسواس الذي يوسوس في الصدور، فقد أعيذ من شر الكفر والفسوق والعصيان، فهذا في فعل نفسه، وتعم الآية أيضاً فعل غيره لسوء معه فكانت هذه السور للشر الصادر من العبد، وأما الشر الصادر من غيره فسورة (الفلق) فإن فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموماً وخصوصاً، والله أعلم.

كتاب تفسير المعوذتين

فهرس الأحاديث